

آليات اكتساب اللغة وتعلمها

أ. بلقاسم جياب

جامعة محمد بوضياف المسيلة

الملخص: إن التقدم الهائل والسريع في مختلف ميادين العلوم والتكنولوجيا وظهور العولمة هل العلم يتجاوز حدود المؤسسات التعليمية ليغزو كل مكان، وذلك عن طريق الوسائل التعليمية المختلفة والمتنوعة وخاصة منها الانترنت، ولعل التدريس وفق المقاربة بالكفاءات تعد الأنسب والأكثر فعالية في توجيه المتعلم الوجهة الصحيحة في اكتساب المعارف بنفسه مع القدرة على تنظيمها والاستفادة فيها، ولهذا ركزت في مقالي هذا على موضوع أراه مهما في تحقيق تلك الغايات المرجوة المتمثل في آليات اكتساب اللغة وتعلمها، فحاولت في البداية تقديم عدة تعريف للغة عند القدامى والمحدثين، ثم وضحت آليات اكتساب اللغة "كالقدرة على الكلام"، و"معرفة الكلام" و"الإرادة في الكلام"، كما أشرت إلى منحنى الدراسات اللسانية الحديثة موضحا ذلك بتخطيط سميت به "هرم النمو اللساني" ميرزا في النهاية عوامل نجاح عملية التعليم. وختمت قولي بضرورة حسن التخطيط وذلك برسم خطة عملية وظيفية باعتبار اللغة وسيلة وليست مادة في حد ذاتها.

Abstract

The Article: "The Mechanisms of Acquiring and Learning the language"

The great and the rapid progress in so many different fields of science and technology, and the appearance of globalization have made science exceed the limits of the teaching institutions to invade every place. this is via the different teaching means , especially the internet .

Teaching according to the competency –based approach is probably the most appropriate and effective method in directing the learner to the right manner in acquiring knowledge with him herself with the capacity of organizing it , and taking a benefit from it . this, in this article , I have focused on a subject that seems to me very important in realizing that wanted targets which are " the mechanisms of acquiring and learning the language" . so, at the beginning , I have attempted to present various definitions to language according to ancient and modern scientists . then, I have clarified the mechanisms of acquiring the language such as " the skill of speaking , knowing how to speak , and the will to speak " . As well as to this, I have

pointed out the tendency of modern linguistic studies I through a diagram that I have named "the diagram of linguistic growth". At the end, I have shown " the factors leading to success in the process of teaching ". to sun up , I have finished my speech with the necessity of good planning through drawing an operational and functional plan in the consideration that language is a means but not a material in it self

توطئة: إن التقدم الهائل والسريع في مختلف ميادين العلوم والتكنولوجيا جعل العلم يتجاوز حدود المؤسسات التعليمية ليغزو كل مكان. وذلك عن طريق الوسائل التعليمية المختلفة والمتنوعة خاصة منها الانترنت، ولعل التدريس وفق بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات تعد الأنسب والأكثر فعالية في توجيه المتعلم الوجهة الصحيحة في اكتساب المعارف بنفسه مع القدرة على تنظيميها، والاستفادة منها، خدمة للعمل والحياة والوطن.

إن تعلم اللغة واكتسابها عملية مركبة تستدعي من المتعلم توظيف عدة وظائف معرفية ذهنية، وآليات نفسية واجتماعية معقدة، وعليه فإن تعليم وتعلم اللغة مهمة غاية في الصعوبة، وعلى المدرس أن يجدد لها جل معارفه ومكتسباته اللغوية، وأن يكون في مستوى الكفاءة ومهارة التخطيط لوحداث وأنشطة المناهج، فالتخطيط المحكم الواضح يعد أساس تحديد الأهداف وتحقيق الكفاءات المسطرة في كل منهاج ووحدة ونشاط وتقييم وذلك في نطاق منهجية واضحة ودقيقة تفي بالغرض بكل نجاعة ويسر.

ومن المؤكد أن اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية تعد اللبنة الأولى التي ينطلق منها المتعلم في بناءاته العلمية والمعرفية والسلوكية والاجتماعية ... لذا فالاهتمام بها وترقيتها يعد من الأولويات، خاصة في بداية مشواره التعليمي حيث يحتمل ظهور بعض الصعوبات اللغوية التي ستؤثر سلبا على باقي أطواره الدراسية الموالية.

1-1- واقع تعليمية اللغة العربية وتعلمها: قبل الحديث عن واقع اللغة العربية

لا بد أن يكون مسبقا بتحديد مفهومها، لا من حيث هي مادة دراسية، بل من حيث كونها لغة، ومن حيث كونها عربية.

1-2-1 مفهوم اللغة العربية للغة أولى: أولا نحاول تحديد مفهوم اللغة لغة

واصطلاحا.

مفهوم اللغة:

اللغة: يطلق لفظ اللغة على اللسان والنطق معا، فقد جاء في لسان العرب مادة (ل غ و): "... اللغة: اللسن، وأصلها لغوة فحذفوا واوها وجمعوها على لغات كما جمعت على لغوت واللغوة النطق، يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها".⁽¹⁾

الاصطلاح: وردت تعريفات عدة في تحديد مصطلح "لغة" نذكر منها:

- **تعريف ابن خلدون 808 هـ:** الذي عرفها بقوله: "... عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة حسب اصطلاحاتها.⁽²⁾

من خلال قراءتنا لهذا التعريف نجده يتضمن ما يلي:

1- اللغة وسيلة للإبانة والتعبير عن المقاصد.

2- اللغة فعل لساني وسيلته اللسان.

3- اللغة ملكة لسانية.

4- اللغة تواضع واصطلاح بين أفراد الأمة.

- **أما ابن جني 392 هـ:** عرفها بقوله: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل

قوم عن أغراضهم".⁽³⁾

- أما دي سوسير: فيرى اللغة أنها: "تنظيم من الإشارات المفارقة" (4).

ويتضمن هذا التعريف ما يأتي:

1- اللغة عنده نسق من الإشارات والرموز.

2- عبارة عن وحدات لغوية وضعت لمعنى.

3- وحدات لغوية متغايرة فيما بينها.

ومنه تحدد اللغة بأنها مجموعة من الدوال تعمل ضمن نظام محدود لنقوم بوظيفة الاتصال بين أفراد المجتمع.

ومن خلال هذه التعاريف السابقة يمكن القول: "أن اللغة أداة اتصال إنسانية وهي عبارة عن نظام من الرموز الصوتية المكتسبة التي يتم التوافق والتواضع عليها بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة قصد تحقيق فعل التواصل بينهم".

1-3- التعريف اللساني: "اللغة هي قدرة خاصة بالنوع البشري للتواصل

بفضل جهاز من الرموز المنطوقة التي تحتاج إلى تقنية جسدية معقدة، مع افتراض وجود وظيفة رمزية ومراكز خاصة في المخ، وهذا الجهاز من الرموز المنطوقة المتداولة بين جماعة معينة تشكل لغة خاصة" (5).

1-4- التعريف النفسي: "اللغة هي ملكة إنسانية تعتبر الأداة الأساسية للتواصل

بالأفكار والمشاعر بين الأفراد، وتعتبر وسيلة التحليل والتعبير الفكري لدى الفرد بواسطة جهاز مدعم برموز وإشارات تربط بينها قواعد، ويعبر عنها شفها وكتابيا أو بالإشارات" (6).

2- آليات اكتساب اللغة: لا بد من توفر عدة آليات وأسس حتى يتمكن الطفل

من اكتساب لغة الأم أو التلميذ من اكتساب اللغة الفصحى أو الأجنبية، وهذه الآليات تتمثل في:

أ- **القدرة على الكلام:** يقصد به سلامة المخ والجهاز العصبي والحواس المسؤولة على نقل الرسائل الحسية وتلقي الإجابة، مع نمو الباحات(*) الخاصة بالحواس واللغة في المخ، التي تعمل على الترميز(**) وفك الترميز اللغوي، بطرق متعددة ودقيقة جدا، ونمو القدرة اللغوية لدى الطفل تمر على مراحل هي:

- تحديد المعاني لكل المسميات وكل ما يحيط به عن طريق الحواس (اللمس، الشم، السمع، الرؤية، الذوق).

- تخزين المعاني في الذاكرة، وهنا التكرار يلعب دورا في مساعدة خلايا الذاكرة على تخزين كل التفاصيل.

- الفهم اللغوي: يبدأ الطفل بتكوين الصورة الصوتية للكلمات كأسماء الأشخاص والأشياء المخزونة في ذاكرته، ويبدأ في الفهم تدريجيا بربط الأشياء والأشخاص وكل ما يحيط به من ظروف بصورها الصوتية ليستنتج المعاني.

- وآخر مرحلة يصل إليها نمو القدرة اللغوية لدى الطفل هي التعبير اللغوي فبعد تصنيف المعاني وفهم المنطوق والمحسوس وانطلاقا من الصورة الصوتية للكلمة، تشتمل المنطقة الحركية في الدماغ الخاصة بترجمة الرسائل اللغوية العصبية إلى أفعال منطوقة، وهكذا يتمكن من نطق الكلمة.

ب- **معرفة الكلام (Le Savoir Parler):** المنطلق يكون من معاش الطفل فيكون حسب كمية وتنوع الظروف التي يعيشها إضافة إلى طبيعة الأحاسيس التي يشعر بها أثناء تجارب سعيدة أو محزنة، وذلك يكون عن طريق إدراك جميع المعاني مع الحركية بصفة عامة.

فمن معاشه يستخلص المعاني، والمعرفة التي يكتسبها عن نفسه أولا ثم عن الأشخاص والعالم المحيط به، وتكتمل المعرفة الكلامية لدى الطفل إذا تمت لديه

بشكل سليم بعض المفاهيم المتمثلة في: الجاذبية، المخطط الجسدي، المكان الزمان.

ج- الإرادة في الكلام: تكون في مستوى التواصل وترتبط بالجانب العاطفي والعواطف مكتسبة نتيجة معاش الطفل أي طبيعة ونوعية الظروف السابقة وطبيعة ونوعية الظروف الحاضرة، فالمعاش العاطفي للطفل يدخل في الوضعية الحاضرة فيسمح بتحرير ودفعه للكلام أو العكس تكفه عن ذلكم، لذا فالتعلم الجيد لا بد أن يفتعل في حركية وفي عواطف إيجابية.⁽⁷⁾

3- النمو اللساني التعلم:

3-1- اكتساب اللغة ووظائفها: حسب فيجو تسكي (1935-1962)

Vygotski L. S "اللغة تكتسب أولاً في وظيفتها الاجتماعية، ثم تحول إلى وظيفتها الذاتية كوسيلة لتعديل السلوك وأداة الفكر".

وبالنسبة لهامر وبلون (1983-1989) Hamers et Blanc "إن رافد التطور اللساني ينبع من الوسط الاجتماعي، حيث يحاط الطفل بطابع لساني مرتبط بمعاني اجتماعية خاصة والطفل يحول هذه المعاني إلى ذاتية لنمو هويته، مما يخلق لديه دافعية للتعلم واستعمال اللغة، كل هذا في البداية يؤدي إلى تطوير الكفاءة التواصلية ثم الكفاءة المعنوية، وبالتالي فالطفل يتعلم كيف يوظف اللغة كوسيلة معرفية بمجرد أن يكتسب أدنى القدرات اللغوية الممكنة".⁽⁸⁾

واللغة كجهاز تركز على قواعد تركيبية (الصرف والنحو والنطق والبرجماتية)، تحد من إمكانية المكونات اللغوية (Combinatoire)، وهذه القواعد تختلف من لغة لأخرى.

والتمكن من نحو لغة طبيعية يتم بشكل تطوري حيث تتدخل تنبيهات المحيط التي تتعدّد حسب تعقيد قواعدها الأساسية والمحيط يلعب دوراً في توفير التجارب

اللازمة أمام الطفل بشكل كاف يجعله قادرا بنفسه على تكوين مواقف للغة الأم في زمن قصير .

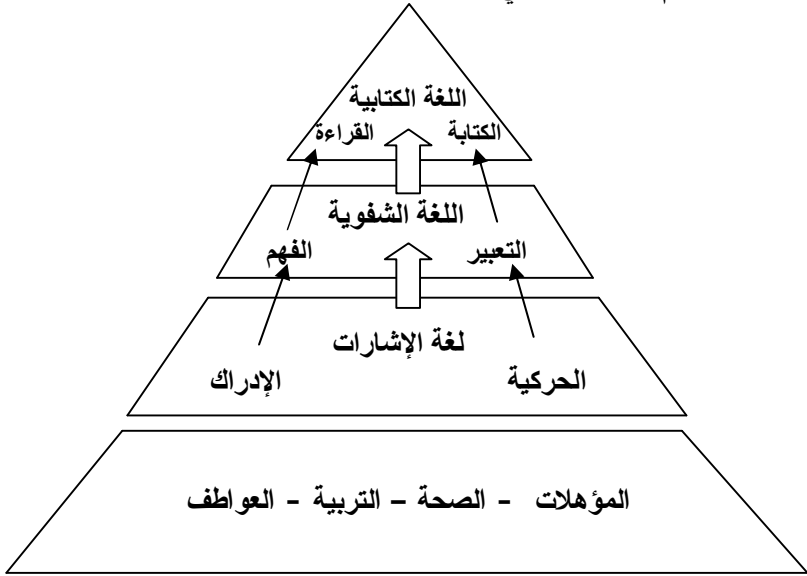
3-2- منحنى الدراسات اللسانية الحديثة:

- علم النفس الاجتماعي يعرف اللغة انطلاقا من وظائفها أكثر من شكلها خاصة منها وظيفة التواصل.

- علم النفس اللغوي⁽⁹⁾ يدرس السلوك اللغوي والآليات النفسية التي تساهم في استعمال واكتساب اللغة من "دي سوسير" الذي يمز بين اللغة "Langage" (ملكة الكلام)، واللغة "La Langue" (الجهاز اللساني الخاص بمجتمع ما)، والكلام "La Parole" (فعل الكلام) إلى نهاية شومسكي M. Chomsky أب النحو العام الذي يميز بين الكفاءة (معرفة قواعد لغة معينة) والكلام "Performances" (استعمال لغة معينة في وضعية واقعية أو حقيقية)، كريستال Cristal الذي يوظف السلوك الفطري للنمو وفي دراسة السلوك اللغوي يدرس الجانب التواصلية للغة بين البشر إلى جانب دراسة الدور الوظيفي المعرفي للغة، وتحلل دور اللغة في العلاقات المتبادلة بين الأفراد ونتائج المحتويات اللسانية، الثقافية، والاجتماعية وأثرها على السلوك مثل دراسة التقاء اللغات.

- دراسة اللغة اليوم تعد جانبا من العلوم المعرفية، وتعد اللغة كتكوين معقد داخلي، يمثل جزءا من المعرفة الاجتماعية، والسلوك اللغوي يحدث بفعل اصطلاحات خاصة بعمليات معرفية ودافعية ناتجة عن جعل الأفعال المتبادلة داخليا بين الفرد ومحيطه الاجتماعي ذاتية، وينقل معنى المحتوى في شكله الكلامي (Varbale)، لكن المعلومة تخص المرتبة الاجتماعية والانتماء الاجتماعي (L'indentié Sociale) مع وضعية المتكلمين.

3-3- هرم النمو اللساني:



فهذا الهرم يبين لنا بتسلسل مراحل النمو اللغوي لدى الطفل العادي، أي تتوفر فيه كل المؤهلات والقدرات مع تمتعه بالصحة الجسمية والنفس حركية والعقلية ونشأ في محيط أسري يوفر له التربية وينمي عواطفه.

فالمرحلة التمهيديّة تكون باكتساب الطفل لغة الإشارات مع نموه الحركي والإدراك، ثم يصل إلى مرحلة اللغة الشفوية مع تطوير قدرته الحركية خاصة فيما يخص أجهزة النطق إلى قدرة تعبيرية، ونمو إدراكه لبلوغ مستوى الفهم، والمرحلة الأخيرة التي يبلغها النمو اللغوي لدى الطفل هي "اللغة الكتابية"، وذلك بعدما يكتسب الطفل قدرة تحويل الكلمات المنطوقة إلى رموز خطية يتمكن بالتدريب من قراءتها، ونخص بالذكر فيما يخص هذه المرحلة أن هناك بعض المكتسبات الأولية (Les Prérequis) التي يجب أن تنمو لديه كالجاذبية والتموقع الزمني والمكاني".⁽¹⁰⁾

3-4- اللغة والتعلم: إن القدرة على الكلام والتمكن اللغوي مرتبطان بالفكر حيث يمكن الكلام الفكر من تكوين مجموعات قادرة على تمييز المعاش الحاضر والاصطلاح للتجربة وطبعها بالطابع الاجتماعي، وبالتالي فاللغة لا تعد مجرد وسيلة للتواصل ودراستها تصعب إن حاولنا فصلها عن الجانب المعرفي.⁽¹¹⁾

حسب "دافيد رولان" مرجع التعلم هو تعلم اللغة منذ أن علم الله آدم الأسماء والتعليم بمجمله هو تعليم اللغة، فعلى طول المشوار الدراسي يتم ترتيب المعلومات حسب نمو العمليات العقلية بفضل نمو اللغة والنتيجة أن أي اضطراب في التعلم معناه على العموم اضطراب لغوي.⁽¹²⁾

4- عوامل نجاح عملية التعلم:

1-النضج: هو عملية نمو داخلية لا شعورية تشمل جميع جوانب الكائن الحي وهو ضروري في عملية التعلم الواعي.

2- الاستعداد: عامل نفسي هام في عملية التعلم، ويكون مرتبط بالنمو العقلي والعضوي والوجداني والاجتماعي.

3- الفهم: عامل أساسي في عملية التعلم، ولا يتحقق بين المعلم والمتعلم إلا إذا توفرت شروط من أبرزها: التجانس في النظام التواصل، أي لا بد أن تكون هناك لغة مشتركة بين المعلم والمتعلم لكي تحدث الاستجابة الملائمة لعملية التعلم.

4- التكرار: من الدعائم الأساسية التي تقوم عليها عملية التعلم، فهو استمرار لفعل العلاقة القائمة بين المثبر والاستجابة، وهي العلاقة التي تتحول إلى عادة لدى المتعلم، مما يجعل الذاكرة قادرة على استيعاب المفاهيم، ولا بد من أن يكون التكرار هادفا وموجها وفق خطة بيداغوجية و تعليمية معينة.

ولهذا أرى من الضروري على كل معلم أو أستاذ أن يرسم خطة عملية وظيفية تضع بين يديه نموذجا صغيرا يساعده على حسن التخطيط والدقة في تنظيم وتقديم

محتويات مناهج اللغة العربية، ويأخذ بفكره إلى تصور وتبني سلوك جديد في ميدان تدريس اللغة العربية، مع حسن توجيه المتعلمين بما يفي غرض بلوغ مستوى الكفاءة والمردودية، ويخالف المنحى التقليدي الذي جعل من اللغة مادة وليس وسيلة.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 15، ط1، 1992، ص 251 مادة (ل غ و)
- (2) عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د ط)، 1961، ص 1056.
- (3) ابن جني: الخصائص، دار الكتب المصرية، ج1، ص 33.
- (4) فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تعريب محمد شاوس وآخرون، الدار العربية للكتاب، تونس (د ط)، 1985، ص 111.
- (5) معجم (LAROUSSE) Dic. Linguistique et sciences de langage
- (6) معجم (LA ROUSSE) Dic. F. Psychologie
- (*) الباحات هي مناطق في قشرة المخ وكل باحة تكون مسؤولة على وظيفة حسية أو إدراكية أو لغوية معينة.
- (**) الترميز: هو عملية ذهنية تقوم بتحويل الصورة اللفظية لمعلومة تلتقط عن طريق الحواس إلى رموز.
- (7) دليل تطبيقي، ص من 7 إلى 35 David M. Roulin: Le développement du langage, Edition: La Liberté inc. Québec, m.a Orthophonie
- (8) معجم علم النفس (نفس المرجع السابق)
- (9) علم النفس اللغوي هو اختصاص يدرس السيرورات النفسية التي تتحكم في استعمال واكتساب اللغة بصفة مباشرة أو غير مباشرة.
- (10) Le Développement du langage (نفس المرجع السابق) ص 36.
- (11) معجم علم النفس (نفس المرجع السابق).
- (12) نفس المرجع السابق (Le Développement du langage)